



التحولات الرقمية وتحديات التعليم عن بعد: سؤال الاستدامة البيداغوجية والديداكتيكية

سيدي حسن ازروال*

azeroualsidihassan@yahoo.fr

ملخص:

يعالج هذا البحث إشكالا رئيسا يخص مستجد التحولات الرقمية وكيفية استثماره في المدرسة المغربية. وبقدر ما كان التحليل مفيدا ومهما في هذا المجال، فإنه لا يسعى إلى اقتراح حلول جذرية وثنورية لكل الصعوبات التي تعترضه؛ لأن الهدف الرئيس منه أن يمنح إجابات جزئية عن أسئلة تستدعي أبحاثا كثيرة ولقاءات علمية متواترة؛ فهو يُنبه إلى خطورة التوظيف الرقمي المكثف على حساب التوجيه الديداكتيكي ما دام أن الافتراض الأساس ينهض على أن التعليم عموما وتدريب التعلّيمات apprenticeships خصوصا لا ينجحان إلا بحضور هذا التوجيه الديداكتيكي. وهكذا تبنت المقالة مواضيع مترابطة، هي:

-إسهامات التحولات الرقمية في التأثير على التعليم،

-توسع دائرة التعليم عن بعد؛

-مستقبل الأفعال الصادرة عن المدرس والمتعلم على السواء (الممارسات التعليمية الصفية)؛

-دور النظرية البيداغوجية (المقاربة البيداغوجية).

ولم تنس المقالة طبعاً أن تثير موضوع الحياة المدرسية la vie scolaire في الخاتمة ونتائج أثرها التفاعلي على نفسية المتعلمين، وأن تُوضح سلبيات غياب هذا الأثر في التعليم عن بعد. ويبدو أن رقمنة التعليم يأخذ بعدين متميزين: أن يُشكل التعليم عن بعد صيغة من صيغ التعليم عامة، أو أن يُعتمد نمطا مستقلا بذاته وفق شروط ديداكتيكية محددة.

كلمات مفتاحية:

التعليم الرقمي/ التعليم عن بعد/ الممارسات التعليمية الصفية/ المقاربة البيداغوجية/ الصيغة والنمط.

* أستاذ محاضر مؤهل المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين: بني ملال/ المغرب

© نُشر هذا البحث وفقاً لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

Digital Transformations and Challenges of Distance Education: The Question of Pedagogical and Didactic Sustainability

SIDI HASSANE AZEROUAL *

azeroualsidi hassan@yahoo.fr

Abstract:

This article addresses a major problem related to the development of digital transformations and how to invest them in Moroccan schools. As much as the analysis is useful and important in this field, it does not seek to propose radical and revolutionary solutions to all the difficulties it faces, because its main goal is to give partial answers to questions that require extensive research and frequent scientific meetings. It warns of the danger of intensive digital employment at the expense of didactic guidance, as long as the basic assumption is that education in general and the management of learning in particular can not succeed except in the presence of this didactic guidance. Thus, the article adopted interconnected topics, which are:

- The contributions of digital transformations in influencing education,
- Expanding the circle of distance education;
- The future of classroom educational practices;
- The role of the pedagogical approach.

Of course, the article did not forget to raise the issue of school life in the conclusion and the results of its interactive effect on the psychology of learners, and to explain the negatives of the absence of this effect in distance education. It seems that the digitization of education takes two distinct dimensions: that distance education constitutes a form of education in general, or that it adopts an independent style in itself according to specific didactic conditions.

Keywords: Digital education / distance education / classroom educational practices / pedagogical approach / form and independent style

* Qualified Associate Professor, Regional Center for Education and Training Professions: Beni Mellal/Morocco

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

مقدمة:

عرفت ميادين التربية والتكوين تغيرات متسارعة وفعلية، وحتمت ظهور إشكالات واتجاهات ونظم عديدة، فكان لزاما على هذه المقالة أن تلتزم بإبداء الرأي في المستجدات الطارئة وتحليلها ومواجهتها بغية استباق التوقعات ومواكبة جهود البحوث الدولية في هذا المجال. وبالفعل، شهد العالم ثورة علمية وتكنولوجية تجلت في نقطتين رئيسيتين: تسريع وثيرة ابتكار الوسائل الرقمية التي تملك قدرة عالية على إنتاج المعارف وتخزينها، ثم تسهيل عرضها ونشرها وتبادلها partager بشكل كبير. وجاء التعليم عن بعد ليستفيد من هذه الطفرة النوعية رغم ما يعترضه من صعوبات جمة، مثل: ضرورة استحضار التأطير الديدانكتيكي المبني على أسس متينة قادرة على تجنب العشوائية والارتجال. ويُفترض في التعليم عن بعد أن يتكيف مع النماذج البيداغوجية الموجودة، وفي حال تعذر ذلك، يُفترض في الخبراء التفكير في صياغة نموذج بيداغوجي يُشكل التزاما جيدا يحكم العلاقة بين المدرس والمتعلم.

(1) توضيح منهجي

(أ) دواعي اختيار الموضوع:

إن من الدواعي التي حفزت على إنجاز هذه المقالة، هي الصعوبات التي تواجه المختصين أثناء تحليل دور الوسائل الرقمية في الرقي بالتعليم. فإذا كان الاهتمام بالأفعال الصادرة عن المدرس والمتعلم على السواء (الممارسات التعليمية الصفية) والنظرية البيداغوجية (المقاربة البيداغوجية) يأتي في سياقتحديد عملية processus بناء التعلمات les apprentissages وتخطيط الأهداف البيداغوجية لها، فإن أي عمل ناجح لا بد أن يكون موجها نحو تحقيق نواتج محددة ومقبولة تعتمد على التحولات الرقمية التي تسهم بقسط وافر في ترسيخ الفعالية التعليمية؛ غير أن عكس ذلك يعني أن يصبح العمل معزولا عن بيئته الرقمية التي تعرف تطورا متناميا.

إن اختيار هذا الموضوع لم يكن صدفة، بل جاء بعد تفكير رزين نتيجة ما نصادف من صعوبات وأخطاء أثناء غياب الوعي النقدي الذي يفسح المجال أمام تحليل قادر على رصد المشهد بإيجابياته وسلبياته.

(ب) مصدر موضوع المقالة:

ركزت هذه المقالة على صياغة تصور يستمد مقوماته من الوشائج التي تجمع بين هموم التوظيف الديدانكتيكي وتطلعات الواقع الرققي: هل نشهد عهد موت الديدانكتيك وظهور الرقمنة الجافة؟ تستدعي الإجابة عن هذا السؤال وإثارة النقاش حولها، الوعي بحدود التوظيف الديدانكتيكي من جهة أولى، والرقي من جهة ثانية. وبعد ذلك، يأتي دور المصالحة بينهما في نسيج واحد من أجل استخلاص الفوائد. إذن، ستصبح تقارير السادة المفتشين أو الملاحظين الصفيين ذات معنى، وستستبعد ملاحظات (وتعابير) عقيمة من قبيل: (وقد وظف الأستاذ وسائل رقمية بفعالية ...)؛ لأن الموضوع التي سيفرض نفسه حينها، هو: إذا كانت النظرية البيداغوجية توظف الدروس داخل الفصل مما ينتج عنه أفعالا صادرة عن المدرس والمتعلم

على السواء (ما يسمى بالممارسات التعليمية الصفية)، فهل نستطيع الحفاظ على (استدامة) هذا المكتسب وغيره أم أن التحول الرقمي سيؤثر عليها بشكل كبير؟ ويعتبر تحديد نوعية الأدوات التي سيشغل عليها الباحث إحدى المهام المنهجية الأساس في البحث العلمي، لأنها تضع القارئ أمام تقنيات تزوده منذ البداية بحكم أولي عن نتائج البحث الميداني؛ فهي تؤثر على قيمة العمل وعمق الخلاصات التي ينتهي إليها أو على سطحيتها. وبالنسبة إلى البحث الحالي، فمنذ أن استقر الأمر على موضوعه في صيغته النهائية، كان التفكير في طريقة تحليل تُراعي التركيز على الأهداف المتوقعة للوصول إلى أكثرها فعالية وقوة، وتناول الإشكالية المطروحة، وتفكيك الفرضيات الموضوعية.

وهكذا تقود دراسة العلاقة بين الاهتمام بالأفعال الصادرة عن المدرس والمتعلم على السواء (ما يسمى بالممارسات التعليمية الصفية) والنظرية البيداغوجية (المقاربة البيداغوجية) والتحولات الرقمية إلى توظيف الاستمارة التي تُسعف في التعرف على مكان الخلل الذي يجعل المختصين يعجزون عن تبني إشكالية حقيقية. وستكون هذه الاستمارة إحدى الوسائل التي يعتمد عليها الباحث في جمع البيانات والمعلومات من مصادرها، لأنها تعتمد على استنطاق المستهدفين بالبحث، من أجل الحصول على إجاباتهم في الموضوع.

أما بخصوص هذه التجربة، فقد توصلت المقالة إلى أن المدرس في التعليم عن بعد – في الغالب الأعم – يقف بمحاذاة سبورة بيضاء تتماشى مع احتياجات متعلمي القطاع المدرسي مما يُهدد الأفعال الصادرة عن المدرس والمتعلم على السواء (توظيف الممارسات التعليمية الصفية) والنظرية البيداغوجية (الاختيارات البيداغوجية).

ت) صياغة الإشكالية:

إن الإشكالية هي رصد الأسرار العميقة اللاواعية للتوترات المحتملة في أثناء الجمع بين الديداكتيكي والرقمي (احتمال اختفاء توظيف الممارسات التعليمية الصفية والاختيارات البيداغوجية) مما يستوجب التطرق إليها من طرف الباحثين لأنها الأساس الذي يواجهه المدرس في أثناء تخطيط الدرس وتدبيره. ونحن نعلم كيف أن الدروس الرقمية في فترة تفشي وباء كوفيد 19 في المغرب وبعض البلدان العربية قد تعرضت لانتقاد كبير بسبب وقوف المدرس بمحاذاة سبورة بيضاء وهو يقتصر على أفعال أو حركات معدودة (ممارسات تعليمية صفية قليلة جدا مستمدة من: الجانب الديداكتيكي، والجانب التواصل العلائقي، والجانب البيداغوجي، وغيرها من الجوانب) في ظل غياب النظرية البيداغوجية (المقاربة البيداغوجية) أصلا (فلا نتعرف على الهوية البيداغوجية المستخدمة ما دام أن المتتبع لا يستنبط توظيف المدرس لبيداغوجية معينة).

وهكذا تفرض الصياغة الهادفة والدقيقة الانتباه العميق إلى التحولات الكبرى التي جعلت مجال التعليم والرقمنة يلتقيان وفق مستجدات قوامها التأثير المتبادل بينهما إيجاباً أو سلباً مما يُحتم الحديث عن ما يُسمى بالتحولات الرقمية في علاقتها بالاستدامة البيداغوجية والديداكتيكية.

(ث) أهداف المقالة:

تهدف المقالة إلى تمكين المدرسين ما يلي:

- معرفة خصوصية التعليم قبل اعتماد الرقمنة وبعدها.
- استيعاب معنى الأفعال الصادرة عن المدرس والمتعلم على السواء (الممارسات التعليمية الصفية في أبعادها الديداكتيكية والعلائقية التواصلية والبيداغوجية)؛
- الانتباه إلى أهمية توظيف النظرية البيداغوجية (المقاربة البيداغوجية) في تخطيط الدروس وتديرها؛

- فهم مستجدات تخطيط الدروس وتديرها في ظل الرقمنة؛
- التدقيق في التحول الرقمي الذي أثر على مجال التعليم بصفة عامة.
- إن هذا القران بين الديداكتيكي والرقمي في التعليم عن بعد، في أثناء تخطيط الدروس وتديرها، يدعو إلى أهمية إزالة اللبس بمعرفة الحدود التي تجمعهما أو تفصل بينهما. ولن نتمكن من الوصول إلى المبتغى إلا بصياغة فرضيات دقيقة.

(ج) صياغة الفرضيات: تتناول هذه الدراسة فرضيتين اثنتين، هما:

- نفترض أن التحولات التي يفرضها التعليم الرقمي تمس جوهر النظم التربوية وتؤثر فيها.
- نفترض أن أوجه تأثير التحولات التي يفرضها التعليم الرقمي تسعى إلى وضع شروط جديدة للاستدامة البيداغوجية والديداكتيكية.

(ح) الاستمارة:

اعتمدت المقالة على استمارة تصف واقع التعليم عن بعد، وقد استخلصنا منها عيوباً (تشوب هذا التعليم)، نذكر منها ما يلي:

- ظهور تعزيز غير دقيق لأنه متسرع ولا يرقى إلى مستوى التعرف الرزين على إنتاجات المتعلمين، وغياب التعزيز الصفّي الذي ألفه المدرس داخل الفصل.
- تُلقى الدروس - في الغالب الأعم - بالصورة نفسها من خلال إطلالة المدرس من الشاشة حيث نجده واقفاً أو جالسا بجانب سبورة بيضاء أو جهاز عرض، فتصبح العملية التعليمية التعليمية إكراها يومياً.

- رغم تحضير المدرس لدروسه قبل إنجازها (التحضير القبلي)، فإنه لا يوظفها جيدا في التعلم القبلي(1) الذي يعد ضرورة ملحة لكل خبرة تعليمية قصد تثبيتها وترسيخها بأقل تكلفة ممكنة مما يجعل تدبير الدروس يشوبه أعطاب كثيرة بسبب الوسائط التي تحجب المدرس عن متعلميه.
- غياب تقصي واستقراء استعدادات المتعلمين في كل خبرة يُراد تقديمها، وغياب استثمارها بهدف إيجاد المداخل المناسبة(2)؛ فيشعر المتعلم أنه غير معني ببناء الدروس، بل يتكفل المدرس بهذا الأمر (المدرس التقليدي الذي يعتبر نفسه سلطة معرفية).
- إغفال المدرس تحديد الأهداف التعليمية التي يراد تحقيقها؛ ويُصبح الدرس فارغا من الفوائد المعرفية بسبب غياب الانضباط البيداغوجي. ويمكن استدراك هذا الأمر بالرجوع إلى جوهر البيداغوجيات الحديثة التي تقترح أولويات التعلم، منها: عدم التسامح في تحديد الأهداف التعليمية التي يراد تحقيقها.
- غياب التفاعل الذي كان سائدا قبل الرقمنة بين المدرس والمتعلم بسبب الصورة النمطية المذكورة سابقا: إطلالة المدرس المنتظمة من الشاشة حيث نجده واقفا أو جالسا بجانب سبورة بيضاء أو جهاز عرض.
- عدم قدرة المدرس على توقع ما يطلبه المتعلم مما يقود إلى غياب الاستجابة؛ فالمدرس يطلب أشياء لا تسهم في تسهيل التواصل البناء.
- إعطاء الأهمية للجانب المعرفي: إلقاء الدروس على المتعلمين؛ لكن تكلفة الإلقاء تكون كبيرة دون أن يعي المدرس ذلك، ويكون بمقدوره تفاديها إلى تدبير الدروس بتكلفة بسيطة ومردودية عالية.
- رصدت الدراسة الميدانية، التي غطت(عينه) مدرسين من مستويات مختلفة (عدددهم 32) قدموا أكثر من 10 حصص عن بعد، أنهم وضعوا علامات حددت عصارة تجاربهم في خانتي مؤشري القوة (4) و(5)، إذ

(1) إذا كانت الأسئلة عموما حسب المهتمين عاملا يُعطل سير الدرس، فإن المدرس ملزم باعتمادها قبل بداية التعلم. أنظر:

wrong, Bernice Y. L. (1985): "Self-questionning instructional research", A review of educational research, p.p.227.268.

(2) مثل وضع الخطوط تحت الكلمات أو الأفكار المهمة. أنظر:

Snowman, Jack (1984): "Learning tactics and stratrgies", in Gphy and T. Ande (Eds.) cognitive instructional psychology, New York: Academic press.

أو التعليم التبادلي. أنظر:

Palincsar, Anne marie Sullivan (1987): "Reciprocal teaching: Field evaluation in remedial and content area reading", paper presented at the anual convention of the American Educational Research Association Washington, D.C.

إن سلم التأشير يمتد من (1) إلى (5) = (1: ضعيف جدا) و(5: قوي جدا)، مما يدل على أن العيوب أعلاه (في التعليم عن بعد) المستخلصة من الاستمارة قوية. ثم قدمت هذه العينة من المدرسين مواقف أخرى ترتبط بمشاكل التعليم عن بعد. وقد تغاضينا عن عرضها - في هذا المقام - لأنها اقتراحات مفتوحة تُعين على التطرق إلى موضوع آخر هو (أسباب انخفاض دافعية التعلم في التعليم عن بعد).

(2) أنواع تفاعل المتعلمين (طرح الإشكال)

(أ) توضيح المصطلحات:

قبل البدء في معالجة سؤال الاستدامة البيداغوجية والديداكتيكية، تعرض هذه الدراسة مصطلحات تنتمي إلى مجال المعرفة المتداولة في النظام التعليمي المغربي. إذن، يتوجب إزالة اللبس المعنوي والسياقي قصد تمكين القراء من التفاعل الإيجابي مع ما تقترحه هذه المقالة من أفكار. ومن بين المصطلحات التي وقع الاختيار عليها، ما يلي:

- الأنشطة التعليمية التعليمية: هي الدروس التي يبسطها المدرس في فضاء القسم في التعليم الحضوري أو عبر وسيط إلكتروني في التعليم الرقمي.

- الممارسات التعليمية الصفية: هي حصيلة التفاعل بين المدرس والمتعلمين في أثناء تدبير الدروس (العمليات التعليمية التعليمية). وهكذا تظهر إلى الوجود ممارسات تعليمية صفية ذات أبعاد ديديكتيكية أو بيداغوجية أو علائقية تواصلية أو غيرها. ويُجيب البعد البيداغوجي مثلا على الأسئلة التالية: هل يتحدث المدرس مع متعلميه؟ هل يسمح لهم بالضجيج التربوي؟ هل يُناديهم بأسمائهم؟ هل يقترب منهم بالمرور بين الصفوف؟ ... الخ.

- الاختيار البيداغوجي: هو نوع من السيادة التعليمية تُمارسه دولة معينة من خلال اختيار نموذج بيداغوجي موحد لجميع مدارسها؛ وهو كذلك فرصة رئيسة لضمان المساواة بين متعلمي الوطن الواحد في التحصيل والتقييم. وقد تبنى النظام التربوي المغربي العمل بما يُسمى: بيداغوجية الكفايات.

- الحياة المدرسية: هي جميع التفاعلات (الداخلية أو الخارجية) التي تربط المتعلمين بمدارسهم، مثل: الاحتكاك في أثناء المطعمة/ الاحتكاك في القسم/ الاحتكاك في الساحة/ الاحتكاك في الأنشطة الثقافية/ الاحتكاك في الخرجات والزيارات الميدانية، وغير ذلك.

- الاستدامة البيداغوجية والديداكتيكية: تقود الرقمنة إلى تحولات عميقة في الأنظمة التربوية، لأنها تُهدد بزوال الممارسات التعليمية الصفية والاختيار البيداغوجي والحياة المدرسية. وهكذا تتفكك تدريجيا شروط استمرار النظام التربوي مما يستدعي البحث عن مسوغات أخرى تضمن سلاسة العملية التعليمية التعليمية.

(ب) الفرق بين التفاعل الحضوري والتفاعل خارج الفصل الدراسي:

يُفترض في المختص أن يتدرج شيئاً فشيئاً لفهم الرقمنة عن طريق استعراض بعض جوانب التعليم الحضوري والتعليم عن بعد. وإذا كان التدريس هو إحداث تغيير في سلوك المتعلم، فإن التفاعل بين المدرس والمتعلم من الناحية الديدانكتيكية ينقسم إلى قسمين:

– تفاعل حضوري (التفاعل المباشر داخل الفصل الدراسي) الذي يعتمد فيه المدرس على التكنولوجيا الحديثة في التدريس حيث يقوم بأعمال كثيرة، نجملها في تصميم التعليم تصميمًا علميًا مبنيًا على دراسات ميدانية وأبحاث نظرية بهدف ضبط حيثيات هذه العملية، وفي توظيف التكنولوجيا ومحاولة تعميمها بشكل كلي وجدي، وفي تشجيع تفاعل المتعلمين الصفّي وإدارة تدبير الأنشطة التعليمية التعليمية وتجويدها، وفي تطوير التعلم الذاتي لدى هؤلاء المتعلمين بما يتوافق مع تعليمات المدرسين دون التفريط في فسخ المجال أمام روح الإبداع والابتكار. وقد فرضت المستجدات التي طرأت على الساحة التعليمية، التعاطي مع هذا الواقع الجديد بوضع جملة من الترتيبات المهمة التي تطلب من المسؤولين في وزارة التربية الوطنية والتعليم (كل في مجال عمله) تناول الوضع الاعتباري للمدرسين وتخليصهم من برائن التدريس التقليدي وسلبياته من خلال تدريبهم على التزود بمهارات تخطيط التعليم ليوكبوا العصر التقني المتطور الذي يعيشون فيه حيث يعتمد في جوهره على التواصل الفعال والدقيق. وهكذا تنفرع مهام أخرى عن هذا التواصل الفعال مثل التعامل مع نقط الامتحان ومعدلاتها من خلال برنام متنوعة (برنامج مسار في المغرب الذي يسعى إلى تتبع عمل المتعلمين وفق ما حصلوه في مدة ليست بالقصيرة). ويتوجب على المدرس أن ينتبه إلى طبيعة التفاعل⁽¹⁾ الذي يحدث بينه وبين المتعلم من خلال الحاسوب (الإنترنت) في غرفة الدراسة... الخ. ويتوجب عليه أيضا وضع استراتيجية التعليم (التنشيط الجماعي، أو المقابلات التعليمية، أو الأوراش المتنوعة، أو التداريب المناسبة) حتى يضمن مشاركة المتعلمين بشكل فعال ويجعلهم يحبون أداءهم؛ ثم يحصل تذكر ما مر بهم بسرعة.

– تفاعل خارج الفصل الدراسي حين ينخرط المدرس في مهام تتميز باستعمال مكثف للوسائط الحديثة والإنترنت دون أن يتقيد بشروط التدريس في الفصل في التعليم الحضوري (ضعف التدبير الورقي الذي يعتمد على التحضيرات الورقية والكتب، لصالح التدبير الرقمي الذي بدأ يُوظف ما يُسمى بالجدادة الرقمية وغيرها). فكان لزاما على المدرس الإلمام بكل ما هو جديد في عالم الوسائط الحديثة والإنترنت خاصة في مجال التصميم للمواقع والصفحات والوسائط المتعددة بكافة أنواعها وآخر المستجدات في عالم الاتصالات وكيفية استخدامها وكيفية جمع

(1) يأخذ التفاعل بعين الاعتبار مسألة الحوار بين طرفين وردود أفعالهما، ويبيّن علاقة وجدانية رغم تباعد المسافة. انظر: Cutsem- A. De Boeck, ed. S.A. Van , Tr. V. "Les fondements de l'action didactique" Erik de corte (1979) Bruxelles, P. 88.

المعلومات والمعارف من مصادر جيدة. وكان لزاما عليه أيضا أن يُبرهن على قدرته في تخطيط التعليم مستعينا بفهمه لتوظيف التكنولوجيا في النظام التعليمي بشكل متكامل. ويُسوغ هذا الوعي الجديد بمنافع التكنولوجيات الرقمية، ظهور أزمات عالمية جديدة وطوارئ اجتماعية مثل تقشي وباء كوفيد 19.

(ت) تأثير الرقمنة في التعليم:

وعندما يحضر مدرس وفصل افتراضيين، نتحدث عن نوعين من التعليم: تعليم عن بعد (كما سبق التطرق إليه) وتعليم ذاتي (يعتمد على قدرات المتعلم الذاتية وفق تطورات الرقمية الحديثة). وتبقى الوسائط الحديثة قاسما مشتركا بين جميع أنواع التعليم، فهي تحضر داخل فضاء الفصل في توازن تام لأن المدرس يعتمد عليها وفق توجهات البيداغوجيات الحديثة والتعليم المعاصر، وهي تحضر في التعليم عن بعد بكثافة لأن المدرس ينقل المعلومات بواسطتها، وهي تحضر في التعلم الذاتي لأن ظروف اكتساب المعلومات بسهولة يمر عبرها.

وستنقارب ما استجد من معطيات عن أدوار ومهام المدرس في الفصل الدراسي، وسندسعى إلى وضع الأصبع (قدر الإمكان) على نتائج تحول المدرس من ممارسة أدوار تقليدية إلى ممارسة أدوار حديثة، وسنحاول أن نرصد تأثير كل ذلك على وضع المدرسة.

(3) أهمية الممارسات التعليمية الصفية

(أ) دور المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين في إرساء تجربة الممارسات التعليمية

الصفية:

أفحمت الدراسة دور المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين بغية توضيح أنها المكان المناسب لتكوين المتدربين وتدريبهم على الممارسات التعليمية الصفية⁽¹⁾، فكيف يُعقل أن نُلغي ركنا رئيسا يرتبط بهذا التكوين في مجزوءة مستقلة، هي (مجزوءة تحليل الممارسات التعليمية الصفية)، بمجرد الانتقال من التعليم الحضوري إلى التعليم عن بعد القائم على الرقمنة؟

عملت المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين على تنزيل ورش مراجعة البرامج والمناهج التربوية (إرشادات دليل التكوين المندمج 2018)، وفق مشروع تطوير النموذج البيداغوجي⁽²⁾ المبني على القانون

(1) تُلفتُ عناية القارئ أن الدراسة استعملت تعبير (الممارسات التعليمية الصفية) عوض (الممارسات المهنية) التي هي من اختصاص التكوين في المراكز الجهوية. وقد تم إجراء هذا التغيير حتى لا نشوش على تتبع المضمون.

(2) للاستئناس، انظر:

- دفاتر التربية والتكوين، أكتوبر 2017، مجلة يصدرها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، محور العدد: أي نموذج بيداغوجي للمدرسة المغربية، العدد 12، المقالات التي تتضمنها الصفحات من الصفحة 05 إلى الصفحة 35.

الإطار والرؤية الاستراتيجية. لقد أن الأوان أن نعي وعيا تاما كيف أن اعتماد نموذج بيداغوجي معين⁽¹⁾، يعني فحص الممارسات التعليمية الصفية التي يتضمنها لأنها تُشكل كنزا داخليا يتعين استثماره في شبكات الرصد والتتبع؛ واستحداث (إبداع) ممارسات تعليمية صفية أخرى باستلهاام روح النموذج البيداغوجي المعتمد في ظل الاستعمال الكثيف للوسائل السمعية البصرية والاستثناس بنمط التعليم عن بعد. وهكذا يتوجب على المهتم بهذه الأمور الدقيقة أن يعرف كيف يستخرج (أو يُبدع) ممارسات تعليمية صفية من بيداغوجية معينة لتحقيق انسجام النموذج البيداغوجي الذي يشغل به وعليه.

كان التكوين سابقا يُنجز من خلال مراكز تربوية متفرقة، وكانت المرحلة تستدعي إعداد متدربين في أسلاك مختلفة؛ غير أن بداية محددة (2011 / 2012)⁽²⁾ حملت معها مستجدات تنظيمية وتربوية أهمها استحداث المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين التي أصبحت مصدرا للمعرفة وفضاءات للتكوين المهن وتأهيل الأطر التعليمية من خلال ما تراكم لديها من تجربة كبيرة تشمل الإرث المشترك لمؤسسات التكوين السابقة للإسهام في ترسيخ مهنة عمل المتدرب الذي سيتحمل مسؤولية التدريس مستقبلا. إن الارتقاء بالتدريس وما يرتبط به من حيثيات يندرج ضمن أسس التكوين المعاصر لإحداث تغيير في سلوك المتعلمين، وتعزيز الكفاءة المؤطرة تأطيرا دقيقا، وتسخير عدة تكوين متطورة تخدم التأهيل المهنين النظري والتربوي الذي تغذيه مقاربة مجزوءاتية مناسبة تتبع التأهيل الميداني والتكوين بالتناوب (عملي / نظري)، وتوظيف شبكات تحليل⁽³⁾ الممارسات التعليمية الصفية المتنوعة، ومواكبة تربصات المتدربين الميدانية بناء على جدولة متميزة لا تنحرف عن مسار ما أوصت به دفاتر التحملات في هذا الشأن في بطاقات جاهزة أو مبتكرة. وتتوجه هذه الدفاتر إلى كافة المتدخلين في التداريب الميدانية. وقد وُزعت دفاتر تحملات التداريب الميدانية على مراحل مختلفة.

إذن، سلكت المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين سبيل التكوين الأساس الذي يُركز على الجانب النظري ثم جانب الممارسة، واعتمدت بعد ذلك على تكوين يُركز على التناوب بين جانب الممارسة أولا ثم الجانب النظري ثانيا ثم العودة إلى جانب الممارسة ثالثا، وهو أنموذج يولي قدراً كبيراً من الأهمية للمهنة وأثرها في تجويد التعلم les apprentissages، فهو:

— تكوين له غاية عملية يجمع بين تملك كفايات مهنية متعددة ومتنوعة ويضم مهارات وقدرات لممارسة مهنة التدريس في مادة التخصص وفي الجانب الديداكتيكي والبيداغوجي، والتمكن من بناء

(1) المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الرؤية الاستراتيجية لإصلاح 2015-2030، (مطبوع دون تاريخ)، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء، ص. 30.

(2) المملكة المغربية، 2011، مرسوم إحداث وتنظيم المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، الرقم 2-11-672 صادر في 27 من محرم 1433 (23 ديسمبر 2011)

(3) التحليل، بالمعنى البسيط، هو محاولة التعرف على شيء معين وفهمه واكتشاف جوانبه بهدف تقويم الأداء المهني والبيداغوجي للمدرس من خلال إرساء الموارد أو التعامل مع وضعية.

خطاطات الإدراك والتفكير والتدخل التي تسعى إلى تعبئة هذه المعارف والمهارات والسلوكات تعبئة واعية متبصرة في ممارسة المهنة؛

— تكوين بطور مهارات ومعارف التدريس، إذ يتم تحقيق نماء الكفايات من خلال وضعيات تفاعلية وسياقية خلال الأنشطة الميدانية والتدريب. وهكذا نتحول من مدرس تقني إلى مدرس متمكن من مهارات ومعارف التدريس وخبير في العمليات التفاعلية ومتمرس في تنظيم ظروف التعلم؛

— تكوين يجعل من تحليل الممارسات التعليمية الصفية نهجا مفضلا في تكوين المدرسين الممارسين تكوينا مهنيا ومتبصرا لما نقوم به في وضعية واقعية صفية قوامها الخروج من الروتين وتعديل الفعل التربوي. ويتعلم المدرس في التكوين وصف نشاطه بتحليل وضعية فعلية والتعبير عنه وتحديد المعارف والمهارات التي سخرها في فعل التدريس من أجل ترسيخ التبصر بمساعدة الأبحاث في مجال الديدانكتيك والبيداغوجيا.

ويبقى التناوب المدمج القائم على أنموذج (الممارسة (عملي)/النظرية (نظري)) أساس التكوين الممهن، إذ يستفيد المتدرب من نوعين مرتبطين من الوضعيات في مجال التكوين:

○ وضعيات ممهنة وفعلية ودراسات حالات تُطوّر المهارات المهنية الضرورية لممارسة الوظيفة التعليمية تطويرا نسقيا، وتحتاج إلى معارف مهنية متعددة (المعارف التخصصية والديدانكتيكية والبيداغوجية) ومهارات وقدرات كثيرة أثناء ممارسة المهنة؛

○ وضعيات مهنية تُطوّر المهارات المهنية في أثناء أنشطة التدريب في السنة الأولى من التكوين، ثم التدريب على تحمل مسؤولية القسم كاملة في مؤسسات التعيين خلال السنة الثانية.

يتضح أن الممارسات التعليمية الصفية هي ركيزة أساس في التأهيل وثابت جوهري في بناء منهاج التكوين⁽¹⁾. فقد رسم المسؤولون والمهتمون معالم هذا النهج المتميز ليوضع بين أيدي المكونين والمتدربين لفهم كيفية تمرير الأنشطة التعليمية وجعلها قابلة للفهم والتذكر. وتُعدّ الممارسات التعليمية الصفية وسيلة تعليمية وديدانكتيكية فعالة في التدريس من خلال مناقشة الأفعال البيداغوجية ومسائلها وتحليلها بشكل متبصر يعتمد على وعي نقدي يُقصي كل ما من شأنه أن يُضعف شروط التحصيل الجيد. وتتجسّد هذه الشروط في البعد الشخصي والديدانكتيكي والبيداغوجي والتفاعلي السياقي والوجداني الاجتماعي وأخلاقيات المهنة⁽²⁾، وتوفر القدرة على التفكير الذاتي أو الجماعي والقابلية للتعديل والمراجعة

(1) وزارة التربية الوطنية (المغرب)، 2012، عدة تأهيل الأساتذة بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، الوثيقة الإطار، الوحدة المركزية لتكوين الأطر، ص 8.

(2) الممارسات التعليمية الصفية ودورها في إرساء التدريس الواقعي، مجلة مسالك التربية والتكوين، مجلة محكمة يصدرها المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين/ الراشدية، المجلد 03، العدد 02، ISSN 2550-5165 (Print).

- خلال التكوين الأساس أو المستمر أو الممارسة الفعلية للمهنة، وترفع كل هذه الشروط كذلك جودة أسلوب التدريس التي تجعل المدرس يعي هويته وشخصيته المهنية، ويداوم على نقدها بما يلي:
- أن يمثل المتدرب للتقويم الذاتي بعد تحليل الممارسات التعليمية الصفية؛
- أن يستوعب المتدرب حقيقة تحليل الممارسات وتدارك الاختلالات؛
- أن تستفيد جميع الأطراف في تحليل الممارسات من مبادرات التصحيح والتكوين وتحسين الأداء المهني: المتدرب والمكون والأستاذ المشرف والمفتش؛
- أن تتحول عملية تحليل الممارسات إلى محرك في تطبيق إصلاح المنظومة التربوية عامة، وتنفيذ المناهج خاصة؛

— أن تُعدّ جداول تحليل الممارسات وثائق مصاحبة للمتدرب بغية إعادة النظر فيها باستمرار وتجويدها.

يبدو أن تحليل الممارسات الصفية أداة فعالة في حل المشكلات الطارئة في أثناء تدبير الأنشطة، فهي ترتبط بالمدرس الذي يقترح سردا تربويا موحها للمتدربين، وهي ترتبط أيضا بهؤلاء المتدربين الذين يقترحون سرودا لما يحدث بينهم؛ إلا أن دوافع تحليل الممارسات المهنية تتمثل في تتبع تنفيذ مقتضيات التعاقدات المبرمة بين الأطراف المتفاعلة الذي تفرضه المتطلبات المؤسسية لعلاج توضع المتعلم في وضعيات ديداكتيكية مناسبة لمستواه مع مراعاة احترام الرأي وحسن الإنصات والمشاركة الفعالة.

وتأثرت البنية التعليمية فجأة بمستجدات رقمية مفاجئة شكلت أساس التعليم المعاصر مما يُعجل بطرح التساؤل التالي: هل نشهد فعلا أفول الممارسات التعليمية الصفية؟ لقد وضعت المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين نصب أعينها أهمية المهنة في المنظومة التربوية، وراهنّت على دور الممارسات التعليمية في تكوين المتدربين الذين سيصبحون أساتذة في المستقبل القريب من خلال مجزوءات متنوعة أهمها (مجزوءة تحليل الممارسات التعليمية الصفية) مما يستدعي فتح نقاش فعلي عن جدوى التدريس!!!!

ث) أهمية التدريس:

التدريس هو إحداث تغيير في سلوك المتعلم من خلال عملية يقوم فيها المدرس بتعليم أو إرشاد الطفل أو المراهق. ويعمل التدريس على تداول التعلمات والمعلومات بين شرائح مستويات عديدة من المتعلمين داخل وخارج الفصول الدراسية. ويعد التدريس جزء لا يتجزأ من نظام تعليمي شامل يعتمد بأكمله على سياسات كبرى تشكل أهدافا وغايات محددة لهوية المنظومة التربوية. ويتبوأ التدريس مكانة مرموقة تُؤسس لمنطلقات الجودة التي تُطور إمكانات المتعلمين المتنوعة ليندمجوا في الحياة الاجتماعية ويسهموا في تطويرها، وعكس ذلك يجعلهم عاجزين عن الإبداع ولا يفيدونها إفادة صغيرة أو كبيرة، بل يعيقون مسيرتها التنموية. ويتوضع المدرس في قلب هذا التدريس المركزي مما يستدعي وظائف حساسة نُجملها في ما يلي:

- إفراغ نظريات الذكاءات المتعددة في شبكات القياس حيث يتوجب تطبيقها في فضاء القسم على المتعلمين؛
- تصميم شبكات تُراعي كفايات التعلم لدى المتعلم مثل المتعلم السمعى والمتعلم البصري وغيرها؛
- النظر إلى تقويم المتعلم من مختلف الزوايا الممكنة باستحضار جميع أنواع التقويم دون تمييز؛
- ربط المتعلم بقضايا النقل اليداكتيكي المتنوعة التي تخص التعاقدات التي تحدث في فضاء القسم؛
- الاستفادة من المرجعيات البيداغوجية الكبرى التي تحترم مبدأ استقلالية المتعلم، ومبدأ بناء التعلّيمات؛
- الاستعمال المتوازن للمعلومات بما يُفيد تفتح المتعلم على العالم الخارجي، ويُتيح اكتساب التعلّيمات بشكل فعال؛
- ... وغيرها من الوظائف الإيجابية.
- هكذا يبدو أن المدرس يتعامل مع فئة صعبة من أفراد المجتمع ليحولهم إلى أفراد منتجين ومنتمين، لهم دور فعّال ومؤثر يساعد الجميع على الازدهار والتقدم في أجواء نبيلة قواهما الثقة، ويشجعهم على تحقيق أهدافهم التي خططتها الدولة برسم حاجات البلاد الآنية، وتتماشى مع الاستراتيجيات المستقبلية من أجل غدٍ أفضل. ويُدعم المدرس التقدم والمعرفة والأفكار النيرة التي تساعد على تصميم مجالات جديدة للازدهار ومواكبة الركب الحضاري.
- وتأسس الفترة المعاصرة التي تعيشها جميع الشعوب بتسارع المعارف والتكنولوجيات وما ينتج عنها من تغيرات متلاحقة في العلوم المختلفة، وهذه التغيرات المتزاخمة تفرض تطوير جميع إمكانات المتعلمين وتنمية معارفهم ومهاراتهم حسب ما توجد به الساحة التكنولوجية، ولن يتحقق هذا الأمر إلا بتوفير الوسائل الضرورية والأسباب المادية للمدرس حتى تُشيع حب المعرفة ويُيسر سبل اكتسابها ونغرس الرغبة في الابتكار والتنافس بُغية تقديم الأفضل.
- وفيما يتعلق بعلاقة التعليم بالتصميم الشامل للتعلم، لوحظ (في الآونة الأخيرة) ظهور محاولات عديدة أنجزها ثلة من الأساتذة من أجل الخروج بتصور أرحب في التعامل مع المقررات الدراسية. فقد كان هدفهم الرئيس هو الالتزام بمبدأ مهم من مبادئ التصميم الشامل للتعلم الذي يتجلى في شعار (منح الأهمية القصوى لخصوصيات المتعلمين وحاجاتهم المتنوعة في القسم)، فظهر هاجس بناء الدروس أو التعلّيمات انطلاقاً من المناطق الثلاث للتعلم (لماذا/ كيف/ بماذا)؛ ثم تفتتق مواهب فعالة تُثري هذا المجال بإبداعية وحرفية أساسها التوظيف الأمثل للتكنولوجيات الحديثة في هذا المجال. ويُعرف مفهوم تكنولوجيا التعليم على أنه مجموعة من الأدوات والأساليب والطرق التي تحسن العملية التعليمية، وإدارتها بأسلوب إيجابي وصحيح، وتساعد في تطوير أداء المدرس والتعلم على حد سواء.

4) التأطير البيداغوجي للممارسات التعليمية الصفية

أ) المقاربة البيداغوجية في التدريس:

اعتمدت هذه الدراسة تناول "معنى المقاربة" (النظرية البيداغوجية المعتمدة في التدريس) والمناخ "البيداغوجي والديداكتيكي" الذي يحيط بها. يعني، تناول السياق العام الذي يعطي معنى للممارسات التعليمية الصفية عموماً. إذن، تعتمد المقاربة الإطار على أساس بيداغوجي مهيمن (المقاربة بالكفايات في التعليم المغربي الحالي)، وتعمل على انتقاء بيداغوجيات وطرائق وأساليب ... مساعدة، وتضع لائحة للممارسات التعليمية التي يجب التزامها داخل الفصول. ولا يمكن للمدرس أن ينأى بنفسه عن المعرفة البيداغوجية عموماً، لأنها تسهم -بقسط وافر- في تعميق فهمه بالتزاماته الملحة التي تفرضها تعليماته للمتعلمين.

والمقاربة التربوية هي نوع من الجهد المنظم الذي نتصور به الأشياء ونلامسها. ولتقريب مفهوم المقاربة بشكل صحيح، نقول إنه عرض لمختلف التوجهات التي تعتمد منظورا معينا؛ ومن الإجحاف تبني مقاربة بتصورات لا تعتمد على منهج علمي يرجح توظيف خطة معينة للامساك شيء ما. إنها تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز في ضوء خطة تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال والمردود المناسب. وقد نقول إن المقاربة بالكفايات هي خطة ونهج وأساس نظري. هذا إذا ما تبني المنهج المقاربة بالكفايات خلفية له معتمدا على البيداغوجيات التي تشكل عائلة واحدة يجمعها: تقوية قدرات التعلم الذاتي للمتعلمين.

إن مسألة ترك حرية اختيار البيداغوجية الملائمة للمدرس أمر مقبول على مستوى الممارسة الديداكتيكية الصرفة (إبداعية المدرس)، أما على مستوى هندسة المنهج التربوي ككل (مناهج، برامج، كتب مدرسية، نظام التقويم والإشهاد...) ⁽¹⁾ فيتطلب هذا الأمر اختيارات بيداغوجية محددة وموحدة (مقاربة + بيداغوجيات مساعدة لهذه المقاربة + أساليب التدريس وتقنياته + ...)؛ غير أنه يجب التنبيه إلى ضرورة التمييز بين الأهداف التي تحددها المقاربة لنفسها من جهة، وما يمكن أن تصل إليه من جهة ثانية (في مجال الممارسة). وقد تضع الحقيقة بين الجانبين: يتم إرساء التعليمات منذ أول محطة في المقاربة (المدخل) وتنتهي باكتسابها في آخر محطة (المخرج)؛ إلا أن اكتساب هذه المعارف قد يكون ناقصاً أو ممتزجاً بالتمثيلات والأخطاء أو غير مرتبط بالواقع ... الخ، مما يفرض حلولاً لهذه السلبيات. وهكذا تتدخل

(1) انظر:

- أحبادو، محمد، (1984)، المنهج التعليمي، مجلة التدريس، ع.7، الرباط.
- جورج خوري، قوما، (1983)، المناهج التربوية، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- طارق، محمد (1993)، مفهوم المنهج ومفهوم البرنامج، مجلة، علوم التربية، ع.4، الرباط.
- فكري، حسن، (1972)، المناهج التربوية، عالم الكتب، القاهرة.
- مجموعة من المؤلفين، (1990)، البرامج والمناهج، سلسلة علوم التربية، ع.4، دار الخطابي للطباعة والنشر.

المساعدة لضبط المسار المتواجد بين المداخل والمخارج و/أو بعدها، فتظهر البيداغوجية الفارقية لمعالجة الفوارق بين المتعلمين في جانب معين، وبيداغوجية الخطأ لإزاحة التمثلات في جانب آخر، أو بيداغوجية الإدماج لترسيخ الوظيفة النفعية (الواقعية) في جانب ثالث (بعد المخارج) ... الخ. كما تتدخل المفاهيم والأساليب والتقنيات والمناهج لتقديم المساعدة (مثل: مفهوم الوضعية المشكلة/ أسلوب الحوار/ تقنية فليبس/ المنهج التجريبي، وهكذا...). وتتدخل المقاربة وكل ما تستعين به في التأثير على الممارسات التعليمية الصفية؛ فهي تبيح ممارسات تعليمية صفية معينة، وتزيح ممارسات تعليمية صفية أخرى تتعارض معها. وستكون النتيجة أن المقاربة الإطار التي تتقاسم شعارات التعليم الحديث مع البيداغوجيات الأخرى المساعدة، لن تسمح سوى بظهور ممارسات تعليمية صفية حديثة تعمل على ترسيخ تقاليد الجودة وتقوي جوانب المردودية⁽¹⁾.

ب) تأثير المقاربة البيداغوجية على تحليل الممارسات التعليمية الصفية:

هل قامت وزارة التربية الوطنية في المغرب بمعية شركائها من الدارسين والمهتمين بإرجاع الممارسات التعليمية الصفية إلى أصولها الخالصة: أي، إلى لحظات خروجها من رحم النظرية البيداغوجية (أو المقاربة) الأم؟⁽²⁾ لم تنل الممارسات التعليمية الصفية وضعها الاعتباري في مجال الممارسة البيداغوجية والديداكتيكية إلا في الآونة الأخيرة؛ لأنها شكلت مسرح الدروس النظرية والتقويمات المرتبطة بها في مراكز التكوين. فظهرت فائدتها الكبيرة في الرفع من مستوى المدرسين وإشاعة الوعي الحقيقي بكل أسرار مهنة التدريس. ويمكن تقسيم كفاءة المدرس المهنية إلى قسمين متكاملين: قسم أول يهتم بضرورة إدراك أهمية الممارسات التعليمية الصفية واستيعابها وتصنيفها إلى جوانب ديдаكتيكية وعلائقية تواصلية وبيداغوجية، وقسم ثان يتولى أمر الاعتماد عليها في أثناء تدبير الدروس في الفصل قصد دقيق معنى مشاريع التعليم التي تنظم مختلف كفايات الاستجابة لضرورتين متعارضتين في الظاهر: الأولى تم

(1) توجد حيثيات التعليم عن بعد في علاقته بالاختيار البيداغوجي في مقالتي:

- سيدي حسن ازروال، (2021)، التعليم عن بعد في ظل جائحة (كوفيد 19) واختبار الاختيار البيداغوجي، ضمن (التعليم عن بعد في ظل جائحة كوفيد 19: الرهانات البيداغوجية والأبعاد التربوية)، منشورات المدرسة العليا للتربية والتكوين - أكادير.

- سيدي حسن ازروال، التعليم عن بعد ورهان التأطير البيداغوجي، مجلة أكاي التربية، مجلة محكمة تعنى بالشأن التربوي والبحث العلمي، تصدرها المديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية بصفرو بشراكة مع الأكاديمية الجهوية للتربية فاس/ مكناس، العدد 06، 2020.

(2) سيدي حسن ازروال، (2021)، أصول الممارسات التعليمية الصفية/ مجلة مسارات في التربية والتكوين/ يصدرها المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين (بني ملال خنيفرة)/ السنة الأولى، العدد الأول، مارس / الإيداع القانوني: 2021PE0019 / التقييم الدولي: ISSN 2737 -8411.

انخراط التلاميذ في مشاريع شخصية لتعديل وتطوير معارفهم؛ والثانية تهم قيادتهم نحو التمكن من معارف جديدة عليهم، عبر وساطة النظام المدرسي وفاعليه⁽¹⁾؛ ولا يمكن الحديث عن الممارسات التعليمية الصفية إلا بتفكيك المجال البيداغوجي من أجل استخراجها ومحاولة إحصائها. وهكذا نعزل بيداغوجية معينة، ثم نمحصها من مختلف الجوانب لنتمكن من تحديد ضوابطها التي تشكل ميدانا لممارستها التعليمية الصفية الخاصة؛ غير أن البيداغوجية الواحدة قد تشترك مع بيداغوجية أخرى أو مع نظيراتها (عائلة البيداغوجيات الحديثة مثلا) في ممارسات معينة. ولا يعني ذلك مطلقا أن جميع البيداغوجيات متماهية تماما؛ لأنه - في هذا المقام - لا نستطيع تسويق تعددها.

وبالمقابل نتساءل: هل أنجزنا أبحاثا تقيس درجات حضور المقاربة البيداغوجية أو غيابها في التعليم الرقمي والتعليم عن بعد؟ تُبين الإجابة عن هذا السؤال مدى حرج الحكومات في مختلف أنحاء العالم من تحديد هوية هذا النوع من التعليم: هل سيتم اعتباره صيغة من صيغ التعليم أو التكوين؟ هل هو نمط قائم بذاته ومستقل عن غيره؟. ولم تُشكل المنظومة التربوية المغربية نشازا في هذا المجال، لأنها لا تستطيع الحسم في جدواه بسبب غياب التكيف الديداكتيكي والبيداغوجي من جهة أولى، وغياب مشروعيتها العلمية والبيداغوجية من جهة ثانية.

(5) التعليم عن بعد

(أ) تأسيس المفهوم:

إن التعليم عن بعد عملية تدريس لا يكون المتعلمون حاضرين فيها جسديا في المؤسسة التعليمية (المدرسة أو غيرها). ويتضمن (هذا التعليم) الدراسة عبر الإنترنت بوسائط كثيرة يقدم من خلالها المدرس المواد التعليمية للمتعلمين (التعلم عبر الإنترنت الذي هو أشهر أشكال التعليم عن بعد). ويلقى التعليم عن بعد في يومنا هذا اهتماما متزايدا، ويفضله الكثيرون على التعليم التقليدي، لأنه يتيح الحرية والمرنة للمتعلمين بغض النظر عن الوسائل التي يتبعها في إيصال المعارف (تحميل تطبيقات مختلفة، واختيار سير الدراسة المناسب، وتهيئة الجدول الدراسي بما يتوافق ومسؤوليات المدرس عن طريق انتقاء أوقات التعلم)، ويشجع المتعلمين للإقبال على الدراسة بسبب غياب المدرس التقليدي وتوجهاته مما يفرض بناء بيئة تعلم مناسبة في المنزل تخصص الوقت الكافي للدراسة ثم الالتزام بها (الأمر الذي ينجي حسن المسؤولية)، ويوفر الجهد لأن المتعلم ليس مضطرا إلى قطع مسافة معينة أو دفع تكاليف التنقل وغيرها من مصاريف الدراسة الجانبية، ويُسهّل الوصول إلى مدرسي المواد من خلال الفصول الافتراضية من

⁽¹⁾ - Anne Vérin, (1993) : "Des modèles pédagogiques pour quelles finalités de l'enseignement scientifique?", ASTER, N° 17, Numéro spécial : Modèles pédagogiques 2, INRP, 29, Rue d'Ulm, 75230, Paris, CEDEX 05., p. 3-4.



المنزل والاستفادة من خبراتهم. وقد يتم بشكل كلي عن بعد أو قد يتضمن بعض أساليب التدريس التقليدية ليطلق عليه اسم التعليم الهجين (الذي يخلط بين التعليم التقليدي والتعليم عن بعد).

(ب) ما بين التعليم الحضوري والتعليم عن بعد من اتصال أو انفصال:

يستلزم التعليم الحضوري وجود المدرس والمتعلم جنباً إلى جنب مما يؤدي حتماً إلى ظهور ممارسات تعليمية صفية نتيجة حدوث التفاعل المباشر بين الطرفين. وتفرض الممارسات التعليمية الصفية السؤال التالي: هل يتعين أن نعتمد على عينة عشوائية – من هذه اللائحة – ثم الاشتغال بها في تدبير درس من الدروس أو جزء منها؟

ننبه المدرسين إلى التوضيح المنهجي التالي: يحسم بعض المدرسين في عدم جدوى الحديث عن الممارسات التعليمية الصفية لأنها تحضر عرضاً في أثناء تدبير الدروس؛ غير أن التفكير في هذه الممارسات حين التخطيط للدرس سيعود بفائدة مضاعفة على المدرس والمتعلم على حد سواء من خلال تجنب حرج التعثر في انسياب التعلم les apprentissages ما دام أن كل شيء خاضع لبرمجة مسبقة. وهكذا ينتقي المدرس سلفاً ما يناسبه من ممارسات انطلاقاً من التساؤلات التالية: ما هي الممارسات التعليمية الصفية التي توجه المتعلم وتساعد في بناء التعلم؟ وما هي الممارسات التعليمية الصفية التي تطابق كل مرحلة من مراحل بناء هذه التعلم؟ وما هي الممارسات التعليمية الصفية الضرورية لهذا الجزء من الدرس حيث تسهم في تنميته في تدرج (بالنسبة إلى المتعلم) في أثناء إرساء الموارد؟ وما هي الممارسات التعليمية الصفية التي تتيح التعاطي مع وضعية- مشكلة أو تقنية أو طريقة أو غيرها؟ أما إذا أردنا تنظيم الممارسات التعليمية الصفية وفق أنشطة الدرس، يتوجب استحضار مهام⁽¹⁾ بناء المشروع والانتباه إلى الخصائص البيداغوجية المعتمدة وتطبيقاتها الديدككتيكية.

لكن، إذا غاب التعليم الحضوري وحضر التعليم الرقمي أو التعليم عن بعد، هل تتأثر حيوية المدرس وأدائه؟ تتم وضعية التعليم والتعلم في فضاء محدد، هو الفصل الدراسي غالباً، وتتفاعل فيها أطراف مشاركة متعاقدة، تتكون من المدرس والمتعلمين، وتتداخل معها عناصر أخرى مؤثرة؛ وتتكون كل وضعية تعليمية تعليمية من عناصر رئيسة، هي:

— المادة التعليمية: مادة دراسية يتوخى المتعلم اكتسابها، وتتكون من موارد متنوعة تعتمد على بناء التعلم؛

— المدرس: عنصر منشط، ميسر، موجه في فعل التعليم؛

⁽¹⁾ - En effet, « le niveau de compétence d'un apprenant est défini en fonction du plus ou moins grand nombre de tâches qu'il est capable de réaliser correctement ».

-Evelyne ROSEN, (2009): "Perspective actionnelle et approche par les tâches en classe de langue", Le Français dans le monde, Recherches et applications, n°45, p.p. 488

- المتعلم: عنصر فاعل يمارس فعل التعلم ويتفاعل كذات مع مكونات العملية التعليمية التعليمية؛
- الإمكانيات المساعدة: وتشمل المصادر والوسائل المادية باعتبارها مصادر مساعدة للتعلم؛
- الزمن: ما يستغرقه فعل التعليم والتعلم، وهو يتكون من سيرورة قصيرة المدى؛
- المكان: فضاء التعلم وهو الفصل الدراسي بمكونه: المجال الجغرافي للفصل بأبعاده (طولا وعرضا وعلوا)، والبيئة السوسيو/عاطفية للقسم (مجتمع مصغر)؛
- السياق: الظروف التي يقع فيها التفاعل بين مختلف مكونات الوضعية التعليمية التعليمية؛
- ... وغيرها من العناصر.

ما حظ التعليم عن بعد من هذه العناصر؟

يستعمل مدرس التعليم عن بعد وسائط ديداكتيكية كثيرة لإيصال المعارف. لكن سرعان ما تظهر محدوديتها لأنها تُختزل - حسب ظروف هذا التعليم مثل ما حدث في ظل جائحة كورونا - في سبورة بيضاء كبيرة صالحة لأمرين: إما تدوين المعلومات بخط اليد أو تحويلها إلى خلفية تُظهر ما ينعكس على وجهها. فكان اهتمام المتعلمين ينصب أساسا على ما تقترحه هذه السبورة، عكس ما يحدث في فضاء الفصل من تنوع وسائط تفاعلية يختار المدرس أيسرها تكلفة. ويستطيع أن يعرف، بعد ذلك، مدى تمكنهم مما تعرضه (الوسائط) أمامهم من خلال قرينه منهم والإحساس بهم.

قد تحضر المادة التعليمية والزمن الذي يستغرقه فعل التعليم والتعلم، ولا يحضر المكان (فضاء التعلم) وهو الفصل الدراسي بمكونه: المجال الجغرافي للفصل بأبعاده (طولا وعرضا وعلوا)، والبيئة السوسيو/عاطفية للفصل (مجتمع مصغر). وهكذا يغيب التفاعل الصفي لصالح التفاعل الافتراضي بسبب غياب السياق (الظروف التي يقع فيها التفاعل بين مختلف مكونات الوضعية التعليمية التعليمية). وستكون النتيجة أن الأدوار المنوطة بالمدرس والمتعلم على السواء تبقى أدوارا افتراضية.

(6) مآزق التوظيف المفرط للتكنولوجيا الحديثة في التعليم

(أ) مستقبل تحليل الممارسات التعليمية الصفية:

يُكرس التعليم عن بعد صورة نمطية للمشهد التعليمي عموما: توزيع المتعلمين بطريقة نمطية جديدة (مدرس داخل شاشة ومتعلمون في منازلهم)، وانفراد المدرس باتخاذ معظم قرارات التعلم، والوقوف في أغلب الأوقات بجانب السبورة للشرح والتوجيه ... الخ، وضعف مشاركة المتعلم في الدرس بسبب إلقاء المدرس.

ونظرا لأهمية الممارسات التعليمية الصفية في بناء التعلّمات، فقد أضى لزاما على الدارسين أن يُولوها أهمية قصوى، وعلى المدرسين أن يُنموا الوعي الديداكتيكي المرتبط بها، وعلى المنظرين أن يستحدثوا بيداغوجية قائمة عليها.

لقد وصلت هذه المحاولة إلى الهدف الذي رسمته لنفسها: إظهار أهمية استخلاص الممارسات التعليمية الصفية من مقارنة بيداغوجية معينة (الأمر الذي تتغاضى عنه الوثائق الوزارية لأنها لم تنتبه إليه)، وضرورة اعتماد التعليم عن بعد عليها. أما الغموض الذي يكتنف حضور بعض عناصر هذه الممارسات في شبكات الرصد أو التقويم (ملاحظة الدروس/ تقويمها ... الخ)، كأن نقول مثلاً: "لا يوجد هذا العنصر من الممارسات في بيداغوجية الكفايات التي يعتمد عليها النظام التربوي المغربي"، فإن إزالة هذا الغموض يُفهم في كون هذه الشبكات لا تعتمد على بيداغوجية واحدة تستقي منها ممارساتها التعليمية الصفية، بل تجمع بين عناصر ممارسات متنوعة من بيداغوجيات أخرى تتقاسم معها أهداف التعليم الحديث والمعاصر نفسها رغم أن الأولوية الحالية للبحث عن طرق مبتكرة لإدراج هذه الممارسات في التعليم عن بعد. إذن، لا توجد شبكات خالصة للرصد والتقويم لأنها تتألف من عناصر هجينة يتوخى القائمون على وضعها تحقيق هدف المهنة الذي يغفل التدقيق في الأشياء وتسميتها بمسمياتها. فما هو الحل إذا غابت هذه الممارسات في التعليم عن بعد ربما بسبب عدم الالتفات إلى أهميتها أصلاً. ولا يجب أن نقترح تعريفات مائعة لا تُسعف في تعريف هذه المهنة أو تزيدها تعقيداً، فهي وعي بأهمية الممارسات التعليمية الصفية، ومعرفة أصولها وكيفية استخلاصها من بيداغوجية معينة، وقدرة تصنيفها إلى أبعاد ومعايير، وفراصة انتقائها وتنظيمها في أنشطة/ مراحل الدروس، وتوظيفها توظيفاً جيداً، والعمل بها في أثناء تدبير الدروس في التعليم الحضوري أو التعليم عن بعد: إن تدبير الأنشطة وضمان نجاحها رهين بالوعي بأهمية الممارسات التعليمية الصفية، فقد آن الوقت للحديث أيضاً عن مسألة المهنة في التعليم عن بعد في سياق التحولات الرقمية.

ولا بد لكل برنامج إصلاحي يستهدف إدماج التعليم عن بعد في المنظومة التربوية أن يأخذ بعين الاعتبار خصوصياتها، ويراعي العلاقات التفاعلية بين مكوناتها الداخلية، وخاصة بالنسبة إلى التدابير ذات البعد البيداغوجي التي لا يمكن للتعليم عن بعد أن يستهدفها بفعالية أو أن يحقق الأثر المنتظر منها، ما لم يتم تناولها وفق رؤية تحيط بمختلف أوجه الإشكالات المطروحة، وتستحضر التأثيرات المباشرة وغير المباشرة لباقي مكونات الفعل التربوي⁽¹⁾.

ب) مستقبل تفعيل المقاربة البيداغوجية:

ماذا يعني غياب تفعيل المقاربة البيداغوجية في التعليم عن بعد؟ ستقود هذه المسألة إلى سقوط الاختيار البيداغوجي الذي هو أساس توحيد المدرسة المغربية وأساس ضمان استقرارها وتوفير تكافؤ فرص مرتديها. وتؤثر هذه المسألة أيضاً سلباً على دافعية التعلم في التعليم عن بعد التي يمكن حصر تراجعها في غياب تعزيز صفّي دقيق، وإهمال إنتاجات المعلمين، ورتابة إلقاء الدروس من الحاسوب،

(1) نظير هذا الوصف مستوحى من:

- وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، بتاريخ 12 أكتوبر 2015، مذكرة إطار في شأن التنزيل الأولي للرؤية الاستراتيجية 2015-2030 من خلال تفعيل التدابير ذات الأولوية رقم X15 099.

وضياع التحضير القبلي، وكثرة الوسائط، وتكفل المدرس ببناء الدرس، وعدم تحديد الأهداف التعليمية، وسيطرة قيم التعليم التقليدي التي تجعل المدرس نموذجيا، وغياب استجابة المتعلم في ظل انعدام التواصل، وعدم القدرة على توقع الحاجيات، وإعطاء الأهمية للجانب المعرفي كثيرا، وغياب الإبداع والتحفيز، وغيرها من التراجعات.

خاتمة:

إذا أرادت المنظومة التعليمية والتربوية أن تضمن نجاح إدماج مستجدات الوسائل التكنولوجية الحديثة بكثافة في المدرسة المغربية، يلزم أن تُراعي آراء الخبراء والمهتمين في هذا المجال بُغية إجراء تكييف ملائم يضع نصب أعينه مستقبل الممارسات التعليمية الصفية وخصوصيات المقاربة البيداغوجية. وقد ركّزت هذه المقالة على هاتين النقطتين انطلاقا من ملاحظة رئيسة مفادها أن الوزارة المعنية لا تملك استراتيجية تحديد شروط ومواصفات التعليم عن بعد.

ويصعب كذلك المزاوجة بين تعليم عن بعد بمواصفات رقمية عالية والحياة المدرسية: إن الحياة المدرسية هي تلك الحياة التي يعيشها المتعلم في كل الأوقات والأماكن المدرسية (أوقات الدرس، أو الاستراحة، أو أوقات الإطعام المدرسي، أو أوقات يقضيها في الملاعب الرياضية، أو أوقات الخرجات التربوية وغيرها). والقصد من الحياة المدرسية، هو تربية المتعلمين من خلال جميع الأنشطة التربوية، والتعليمية، والتكوينية المبرمجة التي يراعى فيها كل الجوانب المعرفية والوجدانية والحركية والحس حركية للمتعلمين. ولضمان نجاح الحياة المدرسية في أداء مهامها، لا بد من المشاركة الفعلية المثمرة لكافة المتدخلين من مدرسين ومتعلمين، وإدارة تربوية، وأطر التوجيه التربوي، والآباء والأمهات، وشركاء المؤسسة.

ويبدو أن التعليم عن بعد يُنجز في حدود ضيقة لأنه صيغة من صيغ التكوين أو التعليم فقط. أما إذا اقتنعت الوزارة الوصية أن تجعله - في المستقبل - نمطا تعليميا مستقلا بذاته، فإن المسألة تستدعي تضافر جهود الخبراء في هذا المجال من أجل ترقيته إلى مستوى أعلى يُدرج في حساباته خصائص رئيسة شكلت لعقود طويلة قوة التدريس في إطار ما يُسمى التعليم الحضوري، وهي: الممارسات التعليمية الصفية والمقاربة البيداغوجية والحياة المدرسية.

المصادر:

أحبادو، محمد، (1984)، المنهاج التعليمي، مجلة التدريس، ع.7، الرباط.
جورج خوري، قوما، (1983)، المناهج التربوية، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

فكري، حسن، (1972)، المناهج التربوية، عالم الكتب، القاهرة.

وثائق وزارة التربية الوطنية:

المملكة المغربية، 2011، مرسوم إحداث وتنظيم المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، الرقم 672-11-2 صادر في 27 من محرم 1433 (23 ديسمبر 2011)

وزارة التربية الوطنية (المغرب)، 2012، عدة تأهيل الأساتذة بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، الوثيقة الإطار، الوحدة المركزية لتكوين الأطر.

وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، بتاريخ 12 أكتوبر 2015، مذكرة إطار في شأن التنزيل الأولي للرؤية الاستراتيجية 2030-2015 من خلال تفعيل التدابير ذات الأولوية رقم 099 X15.

المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي:

دفاتر التربية والتكوين، أكتوبر 2017، مجلة يصدرها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، محور العدد: أي نموذج بيداغوجي للمدرسة المغربية، العدد 12. المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، الرؤية الاستراتيجية لإصلاح 2030-2015، (مطبوع دون تاريخ)، من أجل مدرسة الإنصاف والجودة والارتقاء.

المجلات:

مجلة مسالك التربية والتكوين، 2020، مجلة محكمة يصدرها المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين/ الراشدية، المجلد 03، العدد 02، ISSN 2550-5165 (Print).

علوم التربية، 1993، ع.4، الرباط.

سلسلة علوم التربية، 1990، ع.4، دار الخطابي للطباعة والنشر.

منشورات المدرسة العليا للتربية والتكوين، 2021 – أكادير.

مجلة أكاي التربوية، 2020، مجلة محكمة تعنى بالشأن التربوي والبحث العلمي، تصدرها المديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية بصفرو بشراكة مع الأكاديمية الجهوية للتربية فاس/ مكناس، العدد 06.

مجلة مسارات في التربية والتكوين/ 2021، يصدرها المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين (بني ملال خنيفرة)/ السنة الأولى، العدد الأول، مارس / الإيداع القانوني: 2021PE0019 / التقييم الدولي: ISSN 2737-8411.

المراجع الأجنبية:

Erik de corte (1979): "Les fondements de l'action didactique", Tr. V.VanCutsem- A. De Boeck, ed. S.A. Bruxelles.

المجلات الأجنبية:

- wrong, Bernice Y. L. (1985): "Self-questionning instructional research", A review of educational research.
- Snowman, Jack (1984): "Learning tactics and stratrgies", in Gphy and T. Ande (Eds.) cognitive instructional psychology, New York: Academic press.
- Palincsar, Annemarie Sullivan (1987): "Reciprocal teaching : Field evaluation in remedial and content area reading", paper presented at the anual convention of the American Educational Research Association Washington, D.C.
- Anne Vérin, (1993): "Des modèles pédagogiques pour quelles finalités de l'enseignement scientifique?", ASTER, N° 17, Numéro spécial : Modèles pédagogiques 2, INRP, 29, Rue d'Ulm, 75230, Paris, CEDEX 05.
- Evelyne ROSEN,(2009): "Perspective actionnelle et approche par les tâches en classe de langue", Le Français dans le monde, Recherches et applications, n°45.
- Snowman, Jack (1984): "Learning tactics and stratrgies", in Gphy and T. Ande (Eds.) cognitive instructional psychology, New York: Academic press.